بكون اليا والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام وما انا بطارد الذين امنوا جواب
لهم حين طلبوا طردهم فانهم طلبوا من نوح عليه السلام ان يطرد الذين امنوا
وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك انهم ملاقوا ربهم اي بالبعث فيخاصمون
طاردهم عنده وياخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم او انهم ملاقوه ويفوزون بقربه
فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون اي ان هولا المومنين خير منكم او عاقبة
امركم او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني اي يمنعني
من الله اي من عقابه ان طردتهم عني وهم مومنون مخلصون افلا اي فهلا
تذكرون اي تتعظون وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد بادغام التا في الاصل في الذال ولا اقول لكم عندي خزاين الله اي خزاين رزقه
فكما اني لا اسالكم مالا فكذلك لا ادعي اني املك مالا ولا لي غرض في المال لا اخذا ولا
دفعا وقوله ولا اعلم الغيب عطف على عندي فانا اتعاظم به عليكم حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا بل طريقتي التواضع والخضوع وما كان هذا شانه وطريقته كذلك فانه
لا يستنكف عن مخالطة الفقرا والمساكين ولا يطلب مجالسة الامرا والسلاطين
ثم اكد ذلك بقوله ولا اقول للذين تزدري اي تحتقر اعينكم اي لا اقول في حقهم
لن يوتيهم الله خيرا فان ما اعده الله تعالى لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم وهذا كالدلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة
الى النفاق اني اذا اي ان فعلت ذلك لمن الظالمين لنفسي ومن الظالمين لهم
فان قيل هذه الاية تدل على تفضيل الملايكة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان الانسان اذا قال لا ادعي كذا وكذا انما يحسن اذا كان ذلك الشي اشرف من
احوال ذلك القايل اجيب بان نوحا عليه السلام انما ذكر ذلك جوابا عما ذكروه
من الشبه فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولا اقول لكم عندي خزاين الله حتى
اجعلهم اغنيا وطعنوا فيهم ايضا بانهم منافقون فقال ولا اعلم الغيب حتى اعرف
كيفية باطنهم وانما تكليفي بنا الاحوال على الظواهر وطعنوا فيه انه من البشر
فقال ولا اقول اني ملك حتى تنفوا عني ذلك وحينئذ فالاية ليس فيها ذلك
فان قيل في هذه الاية دلالة على ان طرد المومنين لطلب مرضاة الكفار من اصول
المعاصي فكيف طرد محمد صلى الله عليه وسلم بعض فقرا المومنين لطلب مرضاة
[illegible] حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اجيب
بان الطرد المذكور في هذه الاية محمول على الطرد المطلق على سبيل التابيد واما
الطرد المذكور في هذه الاية واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على التبعيد
في اوقات معينة رعاية للمصلحة ولما ان الكفار اوردوا تلك الشبهة واجاب
نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة اوردوا عليه كلاما من
الاول ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا
فاكثرت جدالنا اي فاطنبت فيه وهذا يدل على انه عليه السلام كان قد اكثر

في الجدال

في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا
يدل على ان الجدال في تقرير الدلايل وازالة الشبهات حرفة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وعلى ان التقليد والجهل حرفة الكفار الثاني ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله
تعالى فاتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان
مناظرتك لا توثر فينا قال لهم نوح عليه السلام في جواب ذلك انما ياتيكم به الله ان شا
تعجيله لكم فان امره اليه ان شا عجله وان شا اخره لا الي وما انتم بمعجزين اي بفايتين
الله ولما اجاب نوح عليه السلام عن شانهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة فقال ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وجواب الشرط
دل عليه ولا ينفعكم نصحي وتقدير الكلام ان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
فلا ينفعكم نصحي فهو من باب اعتراض الشرط على الشرط ونظير ذلك ما لو قال الرجل
لزوجته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
فيشترط في وجوب الحكم وقوع الشرط الثاني قبل وقوع الاول وفي الاية
دليل على ان الله قد يريد الكفر من العبد فانه اذا اراد منه ذلك فانه يمتنع صدور
الايمان منه هو ربكم اي خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم قال تعالى ام اي بل يقولون افتراه اي اختلقه وجاء به
من عند نفسه والهاء ترجع الى الوحي الذي بلغه اليهم قل لهم ان افتريته فعلي
اجرامي وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلي اثم اجرامي والاجرام
اقتراف المحظور وفي الاية محذوف اخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلي
عقاب جرمي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا
انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليها وانا بري مما تجرمون اي من عقاب
جرمكم في اسناد الافترا الي تنبيه اكثر المفسرين على ان هذا من بقية كلام نوح
عليه السلام مع قومه وقال مقاتل ام يقولون اي المشركون من كفار
مكة افتراه اي محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه
وهذه الاية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثنا قصة نوح عليه
السلام قال الرازي وقوله بعيدا جدا واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك اي لم يستمر
على الايمان لقوله تعالى الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا
حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم
الثاني ويدعوهم الى الله تعالى ويروى ان شيخا منهم جا متوكيا على عصاه ومعه
ابنه فقال لابنه لا يغوينك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابتاه امكني من العصا
فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى
الله تعالى اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتيس اي تحزن عليهم
فاني مهلكهم بما اي بسبب ما كانوا يفعلون من الشرك وانقذك منهم فحينئذ
دعا عليهم نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1